

في الذكرى الخامسة لرحيله مات "الخال" في اليوم الذي أحبه. 17 أكتوبر



17 أكتوبر 2019 - 07:23

عبد الناصر عوني فروانة

خميس السنداوي "أبو محمد". لم يكن بالنسبة لي مجرد خال وأخ لوالدتي فحسب، أو الأخ الكبير فقط. وإنما كان رفيقاً في النضال وزميلاً للأسر وصديقاً في الحياة. عملت معه وسافرت برفقته واقتربت منه كثيراً فعرفته جيداً وأحبيته جداً. كان واحداً ممن انتموا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ ريعان شبابه، وناضل في صفوفها وأعطاهم بإخلاص ودون حدود، وقدم الكثير لأجلها ولأجل رفاقها، وقاوم الاحتلال من خلالها، فاعتقل مراراً، وأمضى في سجون الاحتلال فترات عديدة، فتعلم في مدارسها في السجون، واكتسب الكثير من علمها واستفاد من خبرات رفاقها، وتدرج في صفوفها، فأحبها بعمق وأحب مقاومتها بشدة، وعشق السابع عشر من أكتوبر بجنون وكان من أشد المعجبين به وكثير التردد للأهازيج الشعبية والأغاني الوطنية التي تتحدث عن هذا اليوم، حتى أنه رحل في ذات التاريخ 17 أكتوبر من عام 2014 .

ولد "أبو محمد" في مدينة غزة عام 1962، وينحدر من عائلة هاجرت من مدينة يافا عقب النكبة عام 1948 واستقر بها الحال في حي عسقلية شرق مدينة غزة، وكبر وترعرع بين شوارع وأزقة الحي، ودرس المرحلتين الابتدائية والاعدادية في مدارس وكالة الغوث للاجئين، وبعد وفاة والده منتصف سبعينيات القرن الماضي ترك مقاعد الدراسة وانتقل إلى سوق العمل، فاشتغل في الحدادة والبناء إلى أن استقر به الحال ليعمل تاجراً في الملابس القديمة (البالة). وهي مهنة الآباء وتوارثها الأبناء. وتزوج منتصف ثمانينات القرن الماضي من سيدة فاضلة من العائلة وأنجب منها سبعة أبناء وثلاث بنات.

اتسم "أبو محمد" بالبساطة والتواضع، وتميز بعلاقات اجتماعية واسعة مع أفراد أسرته وعائلته. فكان لهم الأخ الكبير والحضن الدافئ. وكان لجيرانه، الأخ والرفيق، الحبيب والصديق والجار الوفي. وكان لرفاقه نبعاً للعطاء الذي لا ينضب. كما وكان حنوناً وكرهما ولم يبخل على الآخرين بشيء.

ومع اندلاع انتفاضة الحجارة في التاسع من كانون أول/ديسمبر 1987، لم يتردد "أبو محمد" في الانخراط فيها والمشاركة في فعالياتها والوقوف بجانب نشاطاتها، فعمل بإخلاص وأعطى بصدق، وقدم الكثير في دعم وساند رفاقه، ووقف بجانب أهله وجيرانه واصدقائه، فاعتقلته سلطات الاحتلال أوائل شباط/فبراير عام 1988، واقتادته إلى قسم التحقيق في معتقل أنصار 2 غرب مدينة غزة، وتعرض هناك لأشكال مختلفة من التعذيب الجسدي والنفسي، وبالرغم من انكاره للتهمة المنسوبة إليه وعدم ادلائه بأي اعترافات، إلا أن سلطات الاحتلال رفضت الإفراج عنه بعد انتهاء فترة التوقيف، وحولته إلى الاعتقال الإداري، ومن ثم نقلته إلى معتقل النقب الصحراوي.

وبعد خروجه من السجن، لم يهدأ أو يستكين، وعاد ومارس حقه وواجبه في النضال ومقاومة المحتل، فاعتقل ثانية عام 1991 واعتقل للمرة الثالثة عام 1992. وبعد كل

اعتقال كان يخرج أكثر قوة وإصراراً على الاستمرار في العطاء ومقاومة الاحتلال، ليميز بالحضور الدائم في كل الساحات، والعطاء الذي لا ينضب حتى لحظة رحيله.

خميس شاكر سليم السنداوي "أبا محمد". إنسان حنون ومناضل معطاء وأسير محرر، رجل اثر مرض عضال، عانى منه كثيراً، وذلك عن عمر يناهز (52 عاماً)، بعد حياة حافلة بالعطاء والنضال. كان ذلك في السابع عشر من أكتوبر عام 2014، وهو اليوم الذي أحبه في حياته، وعشقه حتى مماته. يوم الثأر المحتوم الذي تغنى به أبو محمد ورفاقه، يوم ان تمكنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في السابع عشر من أكتوبر عام 2001 من الثأر لاغتيال أمينها العام "أبو علي مصطفى"، والذي اغتالته قوات الاحتلال في السابع والعشرين من أغسطس عام 2001 من خلال قصف مكتبه في رام الله بصواريخ الأباتشي الإسرائيلية. وذلك حينما نجحت مجموعة فدائية من رفاق الشعبية بالتسلل بطريقتها الخاصة الى داخل فندق "حياة ريجنسي" في القدس الذي يخضع لحراسات وإجراءات أمنية مشددة، وتمكن أحد أعضائها من اطلاق رصاصاتهم القاتلة من مسدس مزود بكاتم الصوت باتجاه وزير السياحة الإسرائيلي المتطرف "حجعم زئيفي"، فأردوه قتيلاً.

عملية غير مسبوقه زلزلت أركان الاحتلال الإسرائيلي ومؤسساته المختلفة وأجهزته الأمنية كافة، لتسجل بحروف من نور و نار في سجل المقاومة الفلسطينية وليبقى السابع عشر من أكتوبر تاريخاً تتوارثه الأجيال وتردده الألسن بفخر وعزة.